المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
العدد السادس والعشرون شهر(7) 2020

هل كُتِب القرآن كاملا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

كريمة إبراهيم البياع
ماجستير- دراسات عربية وإسلامية - جامعة صباح الدين زعيم
E-mail: 3mztak2000@gmail.com

ملخص البحث :

الدراسة بعنوان :(هل كُتِب القرآن كاملا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ؟)وهي دراسة وصفية تحليلية للرد على شبهةٍ حاكت في النفوس، ويُثيرها المشككون في كل حينٍ للوصول إلى أن القرآن لم يُكتب كاملا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الكتابة التي تمت كانت عشوائية وغير منضبطة ؛للتشكيك في صحة النص القرآني .وتعرض الدراسة للأدلة النقلية والعقلية والتاريخية لإثبات كتابة كامل القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلموتلازُم حفظِ السُّطورِ والصُّدورِ طوال زمن الوحي .

ومن خلال عرض الموضوع تبيَّن إثبات وجود كَتَبةٍ للوحي تم تعيينهم والإشراف عليهم ،وتتم الكتابة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وِفْقَ منهجيةٍ واضحةٍ مُتبَعةٍ ، وقد كتبوا القرآن كاملا مُرتب السور والآيات مُجرَدًا من النَقط والشكل ، مُوافقًا للتلقي الشفاهي من النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العزة .وقد تم جمع تلك الصُّحف ونسخها في زمن الخلفاء الراشدين ،ثم أحرِقت في ولاية مروان بن محمد على المدينة المنورة بموافقة الصحابة والتابعين .ثم توالت الطبعات للقرآن الكريم وتتوالى أجيال الحفاظ في كل الأقطار بنفس الضبط والإتقان الذي كان في زمن الوحي .

الكلمات المفتاحية : التشكيك ،الوحي ، التلقي الشفاهي ، كتبة الوحي ،جمع القرآن .

Abstract:

The study is entitled: (Is the Qur’an written in the life of the Prophet, Peace be upon him?) and It is a descriptive and analytical study to respond to suspicions that were woven in souls, and raised by skeptics at all times to prove that the Qur’an was not written completely in the life of the Prophet, and that the writings was random and uncontrolled, to question the validity of the Qur’anic text .

The study presents transmission, mental and historical evidences to prove the writing of the entire Qur’an in the life of the Prophet, Peace be upon him, and that writing the Qur’an coincided with its memorization in the hearts of men throughout the time of revelation.

Through the presentation of the topic, it became evident that there was writers for the Qur'an (revelation) that had been appointed and supervised, and that the writing was supervised by the Prophet, peace be upon him, according to a clear and followed methodology, through Gabriel on the authority of the Allah. Those papers were collected and copied at the time of the rightly guided caliphs, then they were burned in the state of Marwan bin Muhammad in Medina with the consent of the companions (Sahaba) and the followers (Tabieen).

Key words: skepticism, revelation, oral reception, writers of revelation, collection of .the Qur’an

مقدمة

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) الكهف (١)

الحمد لله الذى أنزل القرآن الكريم نورًا نهتدي به وحبلًا به نستمسك،جعله الله الرسالة الخاتمة لأهل الأرض أجمعين،من اهتدى به واستعصم نجا وفاز،ومن تركه فقد خسر خسرانًا مبينًا.تنَزلت آياته البينات فامتلأت القلوب بما يحييها،وانتظمت علاقة الإنسان بربه ونفسه والخلق أجمعين،وعَمُرت الأرض بشريعة الحق.

إلا أنه منذ أن سطعت شمس الإسلام على الدنيا،وخصوم الحق يواجهون هذا الدين بشتى الوسائل والأساليب،ويملؤون الدنيا أكاذيب وأباطيل عن الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين في كل العصور قديمًا وحديثًا،بدءًا من مشركي مكة وسُبُلهم في مواجه الدعوة،ومرورًا
باليهود،والمنافقين،والموالي،والصليبيينو المغول،والاحتلال ،والعلمانية،والشيوعية،والفرق المنحرفة،وحركات التنصير،والاستشراق،والإعلام المضلل،
والماسونية والصهيونية،.....وغيرها فالقائمة في ازدياد كل يوم

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) ال عمران (١١٨)

وكلهم يُصوِّب سهامه للقرآن وأحكامه،ولنبيِّ الإسلام وصَحابَته وأتباعه.ويتخذون لذلك أساليب عديدة منها :

إثارة الشبهات والافتراءات والادعاءات الباطلة.تلك الوسيلة التي تَسْري مُسرعة للقلوب والعقول،في غياب نور العلم والهداية والبصيرة،فتتشربها القلوب وتتأثر بها العقول.وترددها الألسنة فتملأ الآفاق كذبًا وزورًا.والشبهات يُقصَدُ بها كل أمر يُثِير الشكَّ والارتِياب في قلب المدعو فيمنعه من معرفة الحق وأتباعه ، ومصدرها هم أعداء الإسلام وأكابر المفسدين في بلاد المسلمين وأعوانهم ، يكررونها وينشرونها على الناس حتى تألفها الأسماع وتتشربها القلوب فيصدقونها ويتبنونها ويخاصمون الحق لأجلها وهذا مكمن خطر الشبهات .

ويعرض هذا البحث لقضية بالغة الأهمية وهي : كتابة القرآن الكريم كاملًا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

مشكلة البحث :

السؤال الأهم هو : هل كُتِب القرآن كاملًا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

وتتفرع عنه الأسئلة التالية :

- ما هي الشبهة التي يدفعها البحث ويبين وجه البُطلان فيها ؟
- من هم كُتَاب الوحي في مكة والمدينة وهل عُرِفوا بذلك ؟
- ما صفة كتابة القرآن في عصر النبوة ؟ وما أثر عدم وجود النقط والشكل ؟
- هل كانت كتابة القرآن الكريم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وبأمره ومتابعته وفي مجلسه ؟
- هل تمت كتابة القرآن الكريم كاملا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ؟
- لماذا لم يتم جمع القرآن كاملا في مصحف واحد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ؟
- أين هي تلك المخطوطات ولماذا لم تحفظ مع أهميتها ؟

أهمية البحث :

وتكْمُن أهمية البحث في أنه يخص كتابة القرآن في أهم مراحله،وهي مرحلة النبوة.إذ أن المرحلتين التاليتين في زمن أبي بكر رضي الله عنه،وعثمان رضي الله عنه كانتا جمع ما كتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ونسخه.وفي هذا دفعٌ لشبهات المستشرقين وغيرهم حول كتابة القرآن كاملا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم،كي لا تتأثر بهذه الشبهات قلوب بعض المسلمين،ولعل من تأثر بشبهاتهم تنجلي عنه الضلالات الباطلة وينشرح صدره للحق المبين.

كما أن إثبات ذلك كحقيقة لا لبس فيها ولا جدال حولها يعطي صورة واضحة للعالم عن القرآن ،بوصفه الوحي الإلهي والرسالة الخاتمة من الله للبشرية ،مع التأكد من صحة النقل والضبط من عصر الوحي والنبوة حتى العصر الحالي .

دراسات سابقة

- جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته د/أكرم عبد خليفة حمد الدليمي
رسالة علمية بكلية العلوم الإسلامية بالعراق سنة ٢٠٠٦
تناولت الدراسة جمع القرآن الكريم في زمن النبي وفي عهد أبي بكر ونسخ المصاحف في عهد عثمان بن عفان،كما عرضت لشبهات المستشرقين حول جمع القرآن في مراحله الثلاث والرد عليها.
- المرويات في جمع القرآن الكريم

(دراسة تحليلية وصفية لروايات جمع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعثمان رضي الله عنهما)

رسالة ماجستير للباحث / أحمد الصادق عبد الله خير جامعة أم درمان سنة ٢٠١٣

- جمع القرآن حفظا وكتابة د/ علي بن سليمان العبيد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف سنة ٢٠١٠

وقد استفدت من الدراسات السابقة وما رجعت إليه من مصادر،وكذا ما وصلت إليه من نتائج،فقد جَمَعَتْ الأحاديث والمرويات التي ذُكِر فيها كتابة القرآن زمن النبوة،وقد عرضت تلك الدراسات نتائج طيبة في تأكيد كتابة القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .إلا أنني وددت أن أضرب بسهم في هذا المجال ببحث مُختصر مُرَكز يَسهُل الاطلاع عليه والإلمام بجوانبه،كما أركز على أدلة كتابة كامل القرآن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وبمتابعته وفق منهجية معلومة ومدونة في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم،كما أعرض للآيات الدالة على الكتابة في القرآن وما ترشدنا إليه من معانٍ ودلالات،ويتضمن البحث أيضا مآل المخطوطات التي كتبت في عصر النبوة،والسبب في عدم حفظها .

منهج البحث :

اعتمدت في البحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، حيث يتم تحليل النصوص والأخبار ومعالجتها بالمناقشة والدراسة للوصول لنتائج منها وحقائق وقناعات .

خطة البحث :

وينتظم البحث في مبحثين وستة مطالب :

- **المبحث الأول** : كتبة الوحي وصفة الكتابة في عصر النبوة.
  - **المطلب الأول** : نزول القرآن منجما،ووسائل الكتابة في ذلك العصر.
  - **المطلب الثاني** : كتاب الوحي في مكة والمدينة (عددهم ومواصفاتهم).
  - **المطلب الثالث** : صفة كتابة القرآن الكريم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم،وأثر عدم وجود النقط والشكل.
- **المبحث الثاني** : كتابة كامل القرآن في عصر النبوة ومآل الصحف المخطوطة.
  - **المطلب الأول** : الألفاظ والآيات الدالة على الكتابة في القرآن الكريم ودلالاتها.
  - **المطلب الثاني** : كتابة كامل القرآن الكريم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والسبب في عدم جمعه بمصحف واحد.
  - **المطلب الثالث** : ما آلت إليه الصحف المخطوطة وسبب عدم حفظها إلى الآن.
- **نتائج البحث**
- **توصيات البحث**
- **خاتمة البحث وخلاصته**
- **المراجع والفهارس**

المبحث الأول

كتبة الوحي وصفة الكتابة في عصر النبوة

أوحي الله بالكتب السماوية للأنبياء والرسل السابقين جملة واحدة . أما القرآن فشاءت حكمة الله عز وجل أن يتنزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ويبلغه لأمته على مدار ثلاثة وعشرين عاما كاملة ،يتنزل مُوافِقًا للأحداث ومُعقبًا عليها ،ومُجيبًا عما يستجِد من أسئلةٍ وأحوال ،يُوضح منهجية التعامل مع المشركين والكفار،وعندما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة المنورة تنزلت الآيات لبيان منهجية التعامل مع المنافقين واليهود،وتُنظِم حياة المسلمين في دولة الإسلام والمجتمع المسلم وضوابطه وشرائعه

التي ينتظم عليها،ويروي القرآن للمسلمين صفحاتٍ مشرقة لتاريخهم تاريخ الأنبياء السابقين،ويُحدد جزاء إحسان المؤمنين والصالحين،وكذلك شخصيات الجبابرة والطغاة والفاسدين ومآلاتهم. يحمل قي آياته الهداية والتزكية لبناء الإنسان ؛ليحقق في الأرض العدل والرحمة والعمران بشريعة الرحمن .

والسؤال الذي يتبادر للذهن الآن : كيف كان يتناقل الصحابة القرآن حفظا ومدارسة ؟ وكيف حافظوا على نصِّه للأجيال اللاحقة ،بناءً على أن دعوة الإسلام عالمية للناس كافة عبر الزمان والمكان ؟

لابد وأن للنبي صلى الله عليه وسلم منهجية في تبليغ الرسالة لأصحابه المعاصرين له ،ولأمته من بعده .وفيما يلي عرض تلك المنهجيات التي اعتمدت كافة وسائل الحفظ المتاحة في هذا الزمان ،مع اليقين في حفظ الله عز وجل لكتابه .

ولم ينفك أعداء الإسلام عن تلمس المطاعن في القرآن الكريم لعلمهم أنه أصل الدين ومنبع الصراط المستقيم .

فتدافعوا جيلا بعد جيل يورثون الشبهات ويثيرونها حول القرآن الكريم .ولن أعرض في هذا البحث لآرائهم الواهية حول تكذيب نسبة القرآن لله عز وجل ولا لمزاعمهم حول مصدر تلقي القرآن . بل سأكتفي بعرض شبهة واحدة حول جمع القرآن وهي :

قولهم عن القرآن أنه لم يُكتب كله في حياة النبي بل كتبت منه شذرات فقط .وهي شبهة وقع عليها شبه اتفاق . بل والأدهى من ذلك أن هذه الشذرات بزعمهم لم تكتب إلا في المدينة ، أي بعد ثلاثة عشر عاما من نزول الوحي .وقالوا إن كتَّاب الوحي كانوا قليلين جدا،ولم يُنقل القرآن المكتوب من مكة إلى المدينة.

المطلب الأول : نزول القرآن منجما،ووسائل الكتابة في عصر النبوة.

أولا : نزول القرآن مُنَجَمًا :

بدأ نزول القرآن الكريم على قلب النبي الأمين □في غار حراء بعد أن أتم أربعين سنة،وتتابع تنزُّل الوحي على مدار ثلاثٍ وعشرين سنة،ينزل به جبريل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وسلم في الحضر والسفر،وفي مكة وفي المدينة والطائف وغيرها،وفي مختلف الأوقات

بليل أو نهار.وكان من الممكن أن يتنزل كاملا كتابًا في صُحف مجموعة ويُقرأ ويُحفظ.لكن شاء الله بعلمه وحكمته أن يتنزل منجمًا مفرقًا .

(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) الاسراء (١٠٦)

ولعل لله في التنزيل بهذه الكيفية حكما عديدة ومقاصد نافعة وأسرارًا إلهية قد نصل لبعضٍ منها،ويتبدى لنا بعضها،وقد يخفى علينا كثيرٌ منها .ومن تلك الحكم والمنافع التي تحققت بالفعل ما يلي :

١/ تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية قلبه ومؤانسته،بتوالي النزول وتكرار التردد عليه حسب الأحداث والمناسبات،أو تنزل عشر آيات من سورة أو أكثر أو أقل أو سورة بأكملها وفق تقدير الله وحكمته عز وجل

أ قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) الفرقان (٣٢)

٢/ التدرج في تربية الأمة وفق شرائع متدرجة.وهذا موضع عظيم من مواضع الإعجاز التشريعي في الإسلام.وكذا تيسير الحفظ والفهم والعمل على أمة كثر فيها الأميون.

٣/ محاكاة الحوادث والتعامل مع ما يطرأ في حياة الأمة،وبيان الأحكام وفق الأحداث والوقائع مثل حادثة الإفك،تشريع القتال،حكم اللعان وغيرها ، مثل ما ورد في سورة آل عمران تعقيبا على أحداث غزوة أُحُد.

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) آل عمران (١٥٥)

٤/ إجابة السائلين عن أسئلتهم،والرد على مزاعم المكذبين على مدار تاريخ الدعوة

أ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) الأنفال (١)

(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) يس

٥/ تعجيز المكذبين بالقرآن واستمرار التحدي طوال مدة الرسالة،واستمرار عجزهم أيضا.

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يونس(٣٨)

٦/ تربية المسلمين على مبادئ الإسلام وشرائعه والتأني بنقلهم من حال إلى حال،والتخلص من العادات والأعراف الرذيلة،والسمو بهم وفق المنهج الرباني القويم.(نور الدين عتر ، ١٩٩٣،٢٨:٣٤ باختصار)

ورغم نزول القرآن على مدار ثلاثة وعشرين عامًا إلا أنه متماسك،مترابط المعاني،لا تجد فيه تناقض ولا اختلافاً

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء (٨٢)

وحفظه النبي صلى الله عليه وسلم تلقيا من جبريل عليه السلام ،وحفظه الصحابة الكرام من النبي صلى الله عليه وسلم .واشتد تنافس الصحابة في الحفظ والمدارسة والتغني بالقرآن والصلاة به .وإذا أسلم أهل قبيلة أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم من يقرئهم القرآن . ويقدم الأكثر حفظا للقرآن في الإمامة للصلاة وغيرها . بل وكان يقدم الأكثر حفظا للقرآن من شهداء أحد في الدفن ، فالقرآن كان محور حياة الصحابة ومدار اهتمامهم .

وكان جبريل عليه السلام يعارضه القرآن كل عام وعارضه في العام الذي توفي فيه مرتين في شهر رمضان . .وهذا ما اتضح من الكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة وتراجمهم في كتب السير الموثوقة لدى الأمة.

ثانيا : الكتابة في عصر النبوة :

عُرِف العرب بقوة الحفظ وكان الحفظ عندهم ملكة عجيبة،وكانت هي وسيلة حفظ تراثهم ومعارفهم،فحفظوا الأشعار،وحفظوا الأنساب،وحفظوا أخبارهم وأيامهم ومآثرهم .

وقد عرفوا الكتابة واستخدموها،فكتبوا أفضل القصائد وعلقوها على أستار الكعبة فعُرِفت بالمعلقات ،وكانوا يكتبون العقود والعهود،وقد كتبوا صحيفة المقاطعة لبني هاشم وجعلوها في جوف الكعبة.وكتبوا من بعد شروط صلح الحديبية مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد وردت الروايات حول تعلم العرب للكتابة قديمًا،إذ يروي الشعبي :" سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الحيرة.وسألت أهل الحيرة من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا من أهل الأنبار".(السجستاني ،٤٦، ٢٠٠٢)

وقالوا : "لما تزوج بشر بالصهباء بنت حرب علم الخط لسفيان بن حرب،وعمر بن الخطاب،ومن بمكة من قريش،تعلموا الكتابة من حرب بن أمية مثل أبي بكر،ومعاوية تعلمه من عمه سفيان."(السجستاني ،٢٠٠٢، ٤٧)

وكان ورقة بن نوفل يكتب الكتاب العبراني،ويكتب العربية أيضا.

وتعلم أهل المدينة الكتابة من اليهود.

أما عن وسائل الكتابة في ذلك الوقت فكانوا يكتبون على مواد من البيئة استحسنوها للكتابة كالرقاع (قطع من جلد الحيوانات)،وأكتاف الحيوانات،وجريد النخل (العُسُب) واللخاف والأقتاب (جمع قتب : وهي الخشبة توضع على ظهر البعير).وكتبوا بالقلم والحبر على هذه المواد المختلفة.وهذا يدل على مدى المشقة التي كان يتحملها الصحابة رضي الله عنهم في كتابة القرآن."وعرفت أيضا مواد أخرى أكثر لينا ونعومة كالصحف والقرطاس وغيره. (أكرم الديلمي ، ٢٠٠٦ ، ٣٥)

ولما هاجر الرسول إلى المدينة المنورة عمل على نشر تعلم الكتابة،حتى جعل فداء بعض الأسرى -بعد غزوة بدر- تعليم نفر من أبناء المسلمين القراءة والكتابة.

ونخلص من هذا إلى أن الكتابة عرفت عند العرب قبل الإسلام وأتقنها العديد من أهل قريش.عرفوا القلم والصحف وقواعد الكتابة،وكتبوا أشعارا وأخبارا.وكأن الله يُعِدُّهم لكتابة ما هو أسمى وأرفع وأجل،إنها الرسالة الخاتمة التي تحمل الخير والنور لأهل الأرض إلى يوم القيامة.

المطلب الثاني : كُتَّاب الوحي في مكة والمدينة (عددهم ومواصفاتهم).

منذ بداية نزول آيات القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ينقل للناس الآيات بوسيلتين مقترنتين : التلقين الشفاهي الصوتي،القراءة من المكتوب .وهو ما عرف بحفظ الصدور ورسم السطور.

وهاتان الوسيلتان هما وسائل نقل القرآن الكريم للمسلمين وللعالم في كل زمان ومكان،فالقرآن حتى يومنا هذا مسموع ومقروء ومكتوب ومحفوظ في القلوب.وهذه عظمة هذه الرسالة،المحفوظة من الله عز وجل ثم جهود الأمة وعزائم وهمم أهل القرآن.

أكْرِمْ بقومٍ أكْرَمُوا القُرآنـــــــا وَهَبُوا لَـهُ الأرواحَ والأبْـــدَانـا.
قومٌ قد اختـارَ الإلـــــــهُ قلوبَهُمْ لِتَصِيرَ مِنْ غَرْسِ الهُدى بُسْتَانـا.
زُرِعَتْ حُروفُ النور بينَ شِفَاهِهِمْ فَتَضَوَّعَتْ مِسْكـاً يَفِيضُ بَيَانـــا.
رَفَعُوا كِتـــابَ اللهِ فوقَ رُؤوسِهِمْ لِيَكُونَ نُوراً في الظـــلامِ فَكَانـا.
سُبحانَ مَنْ وَهَبَ الأجورَ لأهْلِهـــا وَهدى القـُلُوبَ وَعلَّمَ الإنسانـا.

وبديمومة الوسيلتين معا منذ بدء الوحي وحتى الآن اكتسب القرآن صفة التواتر،مما يفيد اليقين الجازم بصحة هذا الكتاب، وأنه القرآن الذي نزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، بنفس الضبط والإتقان.

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم كتبة للوحي في مكة وفي المدينة،حرص على تعيينهم ومتابعتهم في عملهم،وكانوا على رتبة عالية من الأمانة والثقة والمهارة في الكتابة والهجاء.وهذا ما يتضح ن خلال الروايات الصحيحة. ولطبيعة نزول القرآن على مدار سنوات فقد تعدد كتاب الوحي ، وكان منهم من لازم الكتابة ومنهم من انضم لكتبة الوحي في المدينة كزيد بن ثابت رضي الله عنه ،ومنهم من انضم لهم بعد الفتح كمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

"واختلف المؤرخون في عدد كتبة الوحي ومن هؤلاء : البلاذري ذكر أن عددهم ١١ كاتب،والطبري ذكر أنهم ١٠ كتاب،وابن عبد البر ذكر أنهم ٢٣ كاتب،والعراقي ذكر أنهم ٤٢ كاتب،والمسعودي ذكر أنهم ١٦كاتب ويخصهم بصفة الثبات على الكتابة، وملازمتها،واتصال أيامه فيها،وطول مدة الكتابة." (أكرم الديلمي ، ٢٠٠٦ ، ٤٠ :٤٣ بتصرف)

وعموما فالمصادر تختلف في عددهم بين ١٠ : ٤٣ ويتفقون على أن أكثرهم مداومة عل الكتابة هم : زيد بن ثابت رضي الله عنه،وعثمان بن عفان رضي الله عنه،وأبي بن كعب رضي الله عنه،وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولعل اختلاف المؤرخين يرجع لتعدد الكتبة وتعدد مهامهم،فمنهم من كان يكتب الرسائل والصدقات والعهود،ومنهم من يكتب القرآن فقط ونُهي عن كتابة غيره،ومنهم من طالت مدته في الكتابة،ومنهم من دامت أيامه حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من لم تتصل أيامه في الكتابة.

*ومن هذا نخلص لوجود عدد من الكتبة المهرة،مخصصون لكتابة الوحي،وأن الكتابة لازمت حفظ الصدور طوال فترة حياة النبي صلى الله عليه وسلم.في مكة وفي المدينة وقبل الهجرة وبعدها وقبل الفتح وبعده.

<u>ومن الشواهد على كتابة القرآن في عصر النبوة ما يلي :</u>

- الصحيفة التي وجدها عمر بن الخطاب عند أخته وبها فواتح سورة طه، وكان خباب بن الأرت رضي الله عنه يقرئهم منها ،وقرأ منها عمر بن الخطاب بعدما اغتسل .وهي قصة صحيحة مشهورة في كتب السير .(ابن هشام ،١٩٥٥،١/٣٤٣).وما كانت تلك الصحيفة إلا واحدة من جملة صحف مكتوبة ويتناقلها الصحابة بينهم الصحابة.
- انتداب مصعب بن عمير رضي الله عنه للدعوة في المدينة،وكان يدور على بيوت المدينة يقرئهم القرآن.وعرف بينهم باسم القارئ،الذي يقرأ عليهم القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.
- ورد عن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُريق الأنصاري الذي شهد العقبة وكان أحد النقباء وكان أول من أسلم من الخزرج (ابن الأثير ،١٩٨٩، ٢/٤٥) وقد روي أن مسجد بني زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن،وأن رافع بن مالك لما رأى النبي بالعقبة أعطاه ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت،فقدم به رافع المدينة وجمع قومه وقرأ عليهم في موضعه.(ابن حجر العسقلاني ، ١٤١٥ هـ،٢/٣٧٠) وأورد ابن إسحاق عنه أنه أول من قدم المدينة بسورة يوسف.

- أحاديث النبي التي تحث على عدم السفر لبلاد الكفار بالقرآن (لا تسافروا بالقرآن فإني لا آمن أن يناله العدو) (الألباني ، ٧٣٠٥) وهذا ينطبق على القرآن المكتوب.فقد كان القرآن محفوظا ومكتوبا أيضا،وكل الصحابة لديهم بعض الرقاع الخاصة بهم.
- وقوله في كتابه لعمرو بن حزم (لا يمس القرآن إلا طاهر) (الألباني ،٧٧٨٠) أي أنه مكتوب.
- التعبير القرآني بلفظ الكتاباً **(الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) البقرة**

وهذا دلالة على أنه مكتوب وكل من يعلم بالرسالة يفهم ذلك،ولم يعترض على كتابته أو يتهمها بباطل.

وسوف نخص آيات القرآن الدالة على الكتابة بمطلب خاص نعرضه بتفصيل أكبر بإذن الله.

المطلب الثالث

صفة كتابة القرآن الكريم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأثر عدم وجود النقط والشكل

أولا :صفة الكتابة في عصر النبوة :

عرضنا لكتابة القرآن بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص كتبة للوحي،وسنعرض الآن من خلال الروايات الصحيحة لصفة الكتابة ومنهجيتها.

- دخل نفر على زيد بن ثابت رضي الله عنه فقالوا : حدثنا عن رسول الله.قال : ماذا أحدثكم ؟ كنت جار رسول الله وكان إذا نزل الوحي أرسل إلي فكتبت الوحي،وكان إذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا،وإذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا،وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا.فكل هذا أحدثكم عنه.

لما دخل قتلة عثمان رضي الله عنه عليه ضربوا يده بالسيف،فوقعت يده على قوله تعالى : أ **(فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) البقرة (١٣٧)**

فمد يده وقال : والله إنها لأول يد خطت المفصل.(السجستاني،٢٠٠٢، ٣٣)

- عن زيد بن ثابت قال : كنت عند النبي - صلى الله عليه وسلم - حين نزلت عليه : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله) ،ولم يُذكر أولي الضرر،فقال ابن أم مكتوم،كيف وأنا أعمى لا أبصر ؟ قال زيد : فتغشى النبي - صلى الله عليه وسلم - في مجلسه الوحي،فاتكأ على فخذي،فوالذي نفسي بيده لقد ثقل على فخذي حتى خشيت أن يرضها،ثم سري عنه فقال : اكتب) لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر (فكتبتها.)(أخرجه البخاري "٦/ ٤٥ و٨/ ٢٥٩")
- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي عليه الزمان ينزل عليه السور ذات العدد ، فكان إذا نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب

عنده فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.(رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن)

- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال :كنت أكتب الوحي لرسول الله ،فأكتب وهو يملي علي.فإذا فرغت،قال: اقرأ،فأقرؤه،فإن كان فيه سقط أقامه،ثم أخرج به إلى الناس . (رواه الطبراني)

,ومن تلك المرويات يتضح لنا عدة أمور مهمة :

- خصص النبي كتابا للوحي إذا تنزل عليه دعاهم أو بعضا منهم،يكتبون ما يمليه عليهم.والصحابة يعرفونهم ويعرفون مهمتهم .
- الكتابة لها مراحل وشروط ومنهجية : إملاء من فم النبي ثم كتابة كاتب الوحي،ثم يقرؤه عليه فيصحح له إن كان بالكتابة خطأ يعدله (المعارضة)،ثم إقرار النبي للكتابة وموافقتها للمنطوق،ثم الخروج للناس للبلاغ.
- الكتاب لديهم مخطوطات بها سور سابقة،فإذا نزلت آية وضعوها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضعها من السورة ، وأسماء السور معروفة من الرسول صلى الله عليه وسلم .
- يتم تأليف الرقاع وترتيبها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم كل فترة حسب تمام السور وترتيبها.

ثانيا : صفة رسم مخطوطات عصر النبوة :

- كانت كتابة القرن الكريم وفق قواعد الرسم المعروفة في زمنه،فكانت الحروف ترسم خالية من النقاط والشكل.والقراء يفهمون ما يُقرأ ،والحفظ متين في الصدور .
- "في رواية ليحيى بن أبي كثير يقول : كان القرآن مجردًا في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الياء والتاء وقالوا لا بأس به نور له،ثم أحدثوا فيها نقطا عند منتهى الآي،ثم أحدثوا الفواتح والخواتم،وظل الأمر دون نقط وشكل والعرب يفهمون ".(أبو عمرو الداني ،٢،١٤٠٧)
- كتبت آيات القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مجردة من اسم السورة وعدد الآي،وكُتبت بلا شكل ولا نقط.
- كانت الكتابة على مواد غير متجانسة وغير مجموعة في مكانٍ واحد،بل مُفرقة عند كتبة الوحي،وعند سائر الصحابة.

- كان رسم الآي بأمر النبي ومراجعته وإشرافه،بل وبتوجيهاته أيضا،فقد وردت توجيهاته لمعاوية رضي الله عنه أن النبي قال له :ألقِ الدواة وحرِّف القلم وانصب الباء وفرِّق السين،ولا تُعوِّر الميم،وحسِّن الله،ومدّ الرحمن،وجوِّدِ الرحيم،وضع قلمَك على أذنك اليسرى فإنه أذكرُ لك.(الزرقاني ، ب ،ج٣٧٧/١)

- ومن ذلك العرض نخلص لنتائج مهمة في البحث وهي :

- رسم المصحف كان توقيفيًا من النبي ،وهو من أمر بهذا الرسم والذي قد لا تهتدي العقول لأسراره.
- تمت كتابة القرآن الكريم على مدار عصر النبوة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه وإشرافه ومراجعته.
- الكتابة بهذا الرسم كانت مفهومة لدى العرب اعتمادًا على السليقة العربية الأصيلة.وظلت كذلك لسنوات طويلة.فلما اتسع الأمر ضعفت الفطرة العربية ودخل اللحن في الكلام،فدعت الحاجة للنقط والشكل،فكان نَقط الإعجام ونقط الإعراب ،(خالد العك ،١٩٨٦،١١٧)،فهيَّأ الله لذلك وقدَّر له رجاله.

المبحث الثاني

كتابة كامل القرآن في عصر النبوة ومآل الصحف المخطوطة.

المطلب الأول : الألفاظ والآيات الدالة على الكتابة في القرآن الكريم ودلالاتها

ومن نصوص القرآن الكريم آيات عرضت لأدوات الكتابة وكتابة القرآن،نعرضها فيما يلي،مع الرجوع لكتب التفسير وبيان دلالات تلك الآيات على عملية كتابة القرآن في عصر النبوة موضوع هذا البحث.وأكتفي بعرض الآية وتفسيرها من أحد التفاسير،ثم أستنبط النتائج في آخر المطلب باختصار.وإلا فالموضوع يستدعي بحثا أطول واستقصاء أكبر.

- **آيات وصفت القرآن بالكتاب وهي كثيرة منها :**

قال تعالى : (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) هود (١)

أَمَّا قَوْلُهُ: أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ أَيْ هِيَ مُحْكَمَةٌ فِي لَفْظِهَا مُفَصَّلَةٌ فِي مَعْنَاهَا فَهُوَ كَامِلٌ صُورَةً وَمَعْنًى،ونَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ الْمُحْكَمَ الْمُفَصَّلَ لِعِبَادَةِ الله وحده لا شريك له.(ابن كثير ،١٤١٩هـ، ٢٦٣/٤)

وَلَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ يُرْشِدُ إِلَى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة : ﷻ **(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) ص (٢٩)**

أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ أَيْ ذَوُو الْعُقُولِ وَهِيَ الْأَلْبَابُ جَمْعُ لُبٍّ وَهُوَ الْعَقْلُ.(ابن كثير ،٥٤/٧)[1]

قال تعالى : (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) الواقعة

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ أَيْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ لَكِتَابٌ عَظِيمٌ فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ أَيْ مُعَظَّمٌ، ومَحْفُوظٍ موقر.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي....عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ قَالَ: الْكِتَابُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ.وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ،وَقَالَ آخَرُونَ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ أَيْ مِنَ الْجَنَابَةِ وَالْحَدَثِ قَالُوا: وَلَفْظُ الْآيَةِ خَبَرٌ وَمَعْنَاهَا الطَّلَبُ،قَالُوا: وَالْمُرَادُ بِالْقُرْآنِ هَاهُنَا الْمُصْحَفُ.

كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ،وَاحْتَجُّوا فِي ذَلِكَ بِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي أَنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمْرِو بن حزم أن لا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ.(ابن كثير، ١٤١٩هـ ،٣١/٨، ٣٢)

- آيات أشارت لكتابة القرآن :

ﭧﭨ

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الحاقة

ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا،كما يفعل الملوك بمن يكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام،فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول: وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته.

وخص اليمين عن اليسار لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره،وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف،وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه.

ومعنى لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ لأخذنا بيمينه،كما أن قوله لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ لقطعنا وتينه،وهذا

/ ابن كثير، مرجع سابق، ٥٤/٧

بين.والوتين: نياط القلب وهو حبل الوريد: إذا قطع مات صاحبه،[وما منكم من أحد عنه حاجزين]،أى: لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه.أو لرسول الله،أى: لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه،والخطاب للناس.(الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ٦٠٧/٤)

قال تعالى :

(وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦) الفرقان

وَقالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها يَعْنُونَ كُتُبَ الأوائل أي اسْتَنْسَخَهَا فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ أَيْ تُقْرَأُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا أَيْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ.

وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبهته منهم يعلم كل أحد بُطْلَانَهُ.(ابن كثير،١٤١٩ ، ٨٦/٦)

قَلَمُ: فَهُوَ الْقَلَمُ الْمَعْرُوفُ،غَيْرَ أَنَّ الَّذِيَ أَقْسَمَ بِهِ رَبُّنَا مِنَ الْأَقْلَامِ: الْقَلَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ،فَأَمَرَهُ فَجَرَى بِكِتَابَةِ جَمِيعِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .(ابن جرير الطبري،٢٠٠١ ،١٤٥/٢٣) عَنْ مُجَاهِدٍ،فِي قَوْلِهِ: {ن وَالْقَلَمِ} [القلم: ١] قَالَ: الَّذِي كُتِبَ بِهِ الذِّكْرُ .(ابن جرير الطبري،٢٣،٢٠٠١/١٤٧)

(و الطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) الطور

أقسم تَعَالَى بِمَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَةِ عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ أَنَّ عَذَابَهُ وَاقِعٌ بِأَعْدَائِهِ،وَأَنَّهُ لَا دَافِعَ لَهُ عَنْهُمْ،....وَكِتابٍ مَسْطُورٍ قِيلَ: هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ،وَقِيلَ: الْكُتُبُ الْمُنَزَّلَةُ الْمَكْتُوبَةُ الَّتِي تُقْرَأُ عَلَى النَّاسِ جِهَارًا وَلِهَذَا قَالَ: فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ.(ابن كثير،١٤١٩، ٣٩٨/٧)

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) العلق

يَقُولُ تعالَى ذِكْرُهُ: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْخَطَّ بِالْقَلَمِ،وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ،مَعَ أَشْيَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ،مِمَّا عَلَّمَهُ وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ(ابن جريرالطبري ،٢٠٠١، ٥٣٢/٢٤)

(وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) الأنعام (٧)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ الْمُشْرِكِينَ وَعِنَادِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ لِلْحَقِّ،وَمُبَاهَتَتِهِمْ وَمُنَازَعَتِهِمْ فِيهِ،وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ أَيْ عَايَنُوهُ وَرَأَوْا نُزُولَهُ،وَبَاشَرُوا ذَلِكَ،لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ .
(ابن كثير،٣،١٤١٩/٢١٧)

(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) لقمان (٢٧)

قَالَ قَتَادَةُ: قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّمَا هَذَا كَلَامٌ يُوشِكُ أَنْ يَنْفَدَ،فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ أَيْ لَوْ كَانَ شَجَرُ الْأَرْضِ أَقْلَامًا وَمَعَ الْبَحْرِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا كَانَ لِتَنْفَدَ عَجَائِبُ رَبِّي وَحِكْمَتُهُ وَخَلْقُهُ وَعِلْمُهُ.(ابن كثير،١٤١٩، ٣١٢/١)

نتائج الاستقراء السابق لبعض الآيات في بعض التفاسير المختلفة :

- العرب عرفوا الكتابة وأدواتها فخاطبهم الله بما يعرفون منها كالكتاب والرق والقلم والمداد والصحف والقرطاس.
- القرآن يُسَطِرُه الكتبة بالأقلام وينشرونه للناس،مقدس في السماء ومكرم،وكريم في الأرض ومبارك.
- النبي صادق في تبليغه عن ربه،أمين في ذلك لا يكذب على الناس من قبل النبوة،ولا يقول عن الله إلا الحق،ولو حدث غير ذلك – حاشاه - لكانت العقوبة شديدة لا يمنعها أحد.
- القرآن كلام الله بوحي من جبريل عليه السلام ولم يكتبه النبي عن أحد.
- القرآن كلام الله،يتلوه عباده المؤمنون ويقرؤونه ويكتبونه في الصحف و يسطرونه بالأقلام والمداد كما شاء الله وقدر سبحانه .

المطلب الثاني

كتابة كامل القرآن الكريم في زمن النبي والسبب في عدم جمعه بمصحف واحد.

ويتم عرض هذا المطلب بالإجابة على سؤالين :

س ١ / هل كتب القرآن كاملا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وبمتابعته ؟ أم أن الصحابة كتبوا بعض سور وآيات بشكل فردي ودون متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه ؟

بدا من نتائج المبحث الأول أن القرآن كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ،وكان له كتبة مخصصون لكتابة الوحي،يُتابَعون في ذلك وِفق منهجية عُرفت واشتهرت بين جميع الصحابة.ونسوق فيما يلي ما يدل على كتابته كاملا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم :

١/نظرة واحدة متأملة على كتاب الوحي ندرك منها اختلاف أعمارهم وتاريخ إسلامهم،فمنهم السابقون للإسلام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم،ومنهم المتأخرون كمعاوية رضي الله عنه،ومنهم المكِّيُّون كعلي وعثمان وعبد الله بن أبي السرح رضي الله عنهم ، ومنهم المدنيون كزيد وأُبَي ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم ، وفي ذلك دلالة على أن عملية كتابة الوحي وتدوين القرآن بدأت مع بداية تنزُل القرآن واستمرت حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم،وكانت عملا دائما مستمرا دون انقطاع.

٢/عنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»(السجستاني ،٢٠٠٢،٣٩)

إذن فالكتابة مستمرة ويتم توجيه الكتبة بعدم كتابة غير القرآن صيانةً له من الاختلاط بغيره من الكلام.وتلك أيضا من منهجيات الكتابة التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم لكتبة الوحي.

٣/روى الإمام الترمذي وأحمد بن حنبل عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع).(أكرم الديلمي ،٢٠٠٦، ٣٤).وتأليف الرقاع أي تجميعها (تجميع آيات السورة الواحدة وترتيبها وفق المحفوظ بالتلقي من النبي) وهذا أيضا دلالة على استمرار الكتابة.قال البيهقي : "يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي "(محمد أبو شهبة ،٢٠٠٣،٢٦٦)

س٢ :لماذا لم يجمع القرآن في مصحف واحد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟

١/ **قَالَ الْخَطَّابِيُّ:** إِنَّمَا لَمْ يجمع الْقُرْآنَ فِي الْمُصْحَفِ لِمَا كَانَ يَتَرَقَّبُهُ مِنْ وُرُودِ نَاسِخٍ لِبَعْضِ أَحْكَامِهِ أَوْ تِلَاوَتِهِ فَلَمَّا انْقَضَى نُزُولُهُ بِوَفَاتِهِ أَلْهَمَ اللَّهُ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ ذَلِكَ وَفَاءً بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ بِضَمَانِ حِفْظِهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ " (جلال الدين السيوطي ،١٩٧٤،١/ ٢٠٢)

٢/كذلك أنه لم يوجد من الدواعي لكتابته في مصحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر،ولا مثل ما وجد في عهد عثمان رضي الله عنهما.

- قال الشيخ محمد العاقب الشنقيطي بمنظومته كشف العمى :

لم يُجمع القـــــــــرآنَ في مجلدِ على الصحيحِ في حياةِ أحمد
للأمنِ فيه من خلافٍ ينشـــــــأ وخيفةَ النسخِ بوحيٍ يطـــرأ

المطلب الثالث

ما آلت إليه الصحف المخطوطة وسبب عدم حفظها إلى الآن

عرفنا أن القرآن الكريم كتب كاملا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحفظت المواد التي كتب عليها عند الصحابة،ولما أمر أبو بكر زيد بن ثابت رضي الله عنهما بجمع القرآن في مصحف واحد،جمعه بشروط وضعها حتى تم الجمع لكامل القرآن موافقًا في ترتيبه العرضة الأخيرة التي عارض فيها جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلقاها منه الصحابة الكرام.وكانت نتيجة جمع القرآن في عهد أبي بكر مجموعة الرقاع والعُسُب والأحجار والأكتاف مجموعة بترتيب السور كاملة،في بيت السيدة حفصة رضي الله عنها.وظلت الصحف في دار أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها مؤتمنة عليها طوال خلافة أبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه،والمسلمون يتلقون القرآن شفاهة وحفظا ودراسة وتعليما وكتابة.إذ التلقي الشفاهي من صدور الحفظة والموافق للصحف المخطوطة هو الأصل بينهم.

- ولما كثرت الفتوحات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه،واتسعت الدولة الإسلامية ،وكثر العجم وتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الدول المفتوحة ،دعت الحاجة لنسخ المصحف الموجود ببيت السيدة حفصة وتعميمه على أقطار الإسلام درءا للاختلاف.

فطلب عثمان بن عفان الصحف من السيدة حفصة لنسخها ووعدها أن يردها إليها.

فأرسلتها إليه فنسختها لجنة النسخ بقيادة زيد بن ثابت رضي الله عنه ،ثم رد الصحف للسيدة حفصة لوعده إياها،وكذلك لأنها الصحف الأصلية لا تعارض بينها وبين ما تم نسخه.

وأمر عثمان رضي الله عنه بحرق كل ما كُتب غير هذه المصاحف المنسوخة.وتم فعلا حرق ما عداها بموافقة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ودون معارضة من أحد. وقد عُلم هذا واشتُهر وحمِده الصحابة لعثمان، وعُدَ من مناقبه وإحساناته رضي الله عنه.
(نور الدين عتر ،١٩٩٣)

قال على بن أبي طالب رضي الله عنه :يا أيها الناسُ،لا تغلوا في عثمان ، ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف ، فوالله ، ما فعل في المصاحف إلا عن ملأٍ منا جميعًا، قال : واللهِ، لو وُليتُ لفعلتُ مثل الذي فعلَ .

ومضت السنوات حتى جاء وقت خلافة عبد الملك بن مروان،وكان والي المدينة مروان بن الحكم.

وكان له مع الصحف المخطوطة منذ عصر النبوة شأنا ورد ذكره في العديد من الروايات كما يلي :

عن سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى أم المؤمنين حفصة يسألها الصحف التي كُتب منها القرآن،فتأبى حفصة رضي الله عنها أن تعطيه إياها.قال سالم: فلمَّا تُوفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه ليُرسِلنَّ إليه بتلك الصحف،فأرسل بِها إليه عبد الله بن عمر،فأمر بِها مروان فشُقِّقت،فقال مروان: إنَّما فعلت هذا

لأن ما فيها قد كُتِب وحُفِظ بالمصحف،فخشيت **إن طال بالناس زمانٌ** أن يرتاب في شأن هذه الصحف مُرتابٌ،أو يقول: قد كان شيءٌ منها لم يُكْتب.[٢]

- ومن خلال تحليل النص السابق والاطلاع على ترجمة مروان بن الحكم نستخلص النتائج التالية :

١/ تم حرق وشطف المخطوطات الأولى التي كانت في بيت السيدة حفصة بأمر مروان بن الحكم،وبموافقة عبد الله بن عمر،وعلى مرأى ومسمع من أهل المدينة المنورة.

٢/ لم يُعرف اعتراض أحد من الصحابة أو التابعين،ولو كان في الأمر تعدٍ أو خطأ لما تركوه يفعل ذلك،فيُعَدُّ هذا إجماعًا سكوتيًا.و كان فيه يقتدي بفعل عثمان بن عفان في سائر المصاحف.وقد ورد في كتاب فضائل القرآن لابن كثير : فلمَّا جمعها عثمان -رضى الله عنه- في المصحف ردَّهَا إليها، ولم يحرقها فى جملة ما حرقه مما سواها؛ لأنها هي بعينها "التي كتبه، وإنما رتَّبَه، ثم أنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها، فما زالت عندها حتى ماتت؛ ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها، وتأوَّل فى ذلك ما تأوَّل عثمان.

٣/ مروان بن الحكم (ت٦٥ هـ) كانت وسائل الكتابة قد تطورت كثيرا،والسيدة حفصة توفيت،والمخطوطات كثيرة وكبيرة الحجم،فأين يتم الاحتفاظ بها ؟ ولماذا ويوجد مصاحف منسوخة منها أقل حجمًا وأيسر حملا ؟

٤/ في هذا الوقت كان القرآن قد تم نقط حروفه وضبطها بنقاط أبي الأسود الدؤلي،فيُخشى من مقارنة المصاحف الحديثة بالمخطوطات القديمة واختلاف الناس حولها لطول العهد،فاقتضت الحكمة حرق الأصل،والاحتفاظ بالنسخ المطابقة.

٥/ اتُهم مروان بن الحكم اتهامات وافْتُرِيَ عليه بافتراءات عديدة،كقتل طلحة والتسبب في مقتل عثمان وغيرها،ولم يذكر من ذموه واتهموه بحادثة حرق المخطوطات الأولى للقرآن،إذن فهي ليست مذمومة من أهل عصره ولا من تبعه،وكذلك لم يُذم فعله ولا مقصده.

- هذا وقد نجد الآن من لا يرضى بإحراق المصاحف المخطوطة الأولى،باعتبار أنها وثائق مهمة ومؤكدة لصحة القرآن الكريم،في ميزان أهل المادة من المستشرقين ومن

[٢]/ إسناده صحيح، ووردت هذه الرواية في كتاب المصاحف للسجستاني، وفي فضائل القرآن لابن كثير،

دار في فلكهم الذين يصدقون المكتوب ويطبقون عليه تجاربهم العلمية في المختبرات لتحديد الزمن ، فهم لا يصدقون إلا الدليل العلمي المشهود ، ولا يصدقون الإنسان ولا يعترفون بأمانته في التلقي والتبليغ ،ويخفون انبهارهم بأمة الإسناد والحفظ والتلقي .

ولكن بُعْد نظر خلفاء المسلمين وصحابة النبي والتابعين،يثبت غير ذلك.فقد تم هجوم التتار والصليبيين وغيرهم عبر التاريخ،وحرقوا ودمروا وألقوا بالكتب في النهر،وضاعت مخطوطات وكتب عظيمة،لم نعلم عنها إلا من مؤلفيها أو تلاميذهم حين الإشارة إليها في كتبهم التي وصلتنا.وكذلك اختلاف أحوال الناس وكثرة الخلافات بينهم.فلعل هذا الصنيع بالتخلص من الصحف المخطوطة كان هو الأنفع والأصلح.ولن تجتمع الأمة على ضلالة.

- ويبقى التلقين الشفاهي بالسند المتصل خصيصة هذه الأمة،وطريق حفظ كتابها دون تحريف أو تبديل.

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) فصلت

نتائج البحث :

- تم حفظ القرآن في الصدوربالتلقين الصوتي الشفاهي،وفي السطور بالكتابة والقراءة منذ بدء نزوله وحتى الآن.بترافق الطريقتين على مر العصور والأزمان.
- كان للوحي كتبة مخصصون للكتابة،حددهم النبي وفق مواصفات خاصة،وكانت الكتابة تتم بين يدي النبي وبمتابعته وتوجيهه.
- تمت كتابة كامل القرآن الكريم في حياة النبي وبين يديه،خاليا من النقط والشكل،مرتب الآيات والسور،وفق العرضة الأخيرة.

- سجل القرآن الكريم بين آياته أن القرآن كان يكتب ويسطره الكتبة بأقلامهم في رق ثم ينشرونه للناس،وأنه مكتوب وكتابته لا شك فيها ولا ريب.
- الصحف المخطوطة زمن النبي صلى الله عليه وسلم تم جمعها مرتبة في مصحف واحد زمن أبي بكر رضي الله عنه ،وحفظت في بيت السيدة حفصة،لحين نسخها في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم ردت للسيدة حفصة.
- تم إحراق الصحف المخطوطة زمن النبي صلى الله عليه وسلم في ولاية مروان بن الحكم للمدينة،أحرقها كيلا يحدث خلاف بين الناس إذا تطاول العهد. وشهد الصحابة والتابعين بذلك دون إنكار عليه أو اعتراض أو ذم .

توصيات البحث :

- توعية عوام المسلمين بقصة جمع القرآن ومراحله درءا للشبهات وصرفا للشكوك .
- تدريس مبحث جمع القرآن بمراحله الثلاث لطلاب المدارس،لتثبيتهم وتقوية اليقين لديهم، ودرءا للشبهات وصرفا للشكوك.
- دراسة آيات القرآن التي تشمل دلالات على الكتابة من مختلف التفاسير بالتفصيل.
- الاهتمام بحفظ الصدور فهو من أشرف خصائص هذه الأمة.
- عقد مؤتمرات تهتم بالقضايا الخاصة بجمع القرآن ورد شبهات المستشرقين والقرآنيين وغيرهم .

وختاما :

وبعد فقد أقدمت على هذا البحث بُغية أن أدفع سهما للباطل عن حِمى الإسلام، مُقتدية بمن علمني وسبقني.

عرضت فيه بعضا من شبهات المستشرقين ومن تأثر بهم . وحاولت دفعها وبيان وجه الباطل والافتراء فيها ، سعيا لبناء اليقين الجازم لدى المسلمين وغيرهم .

وأغلب المسلمين اليوم لديهم اليقين الجازم أن تلاوة القرآن الكريم اليوم،سواء كانت تلاوة حافظ أو قارئ فهي بنفس الضبط والإتقان الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ،إذ القرآن الذي بين أيدينا اليوم هو نسخة منقولة عن الأصل المكتوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ،المقروء في المصاحف والمتلو على ألسنةِ القرَّاء والحفَّاظ.وقد حفظه الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم،ونسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن ويوفقنا لخدمته والعمل به والدعوة إليه،والاستقامة على منهجه القويم ما حيينا،وأن يجعله لنا شفيعا يوم الدين

ٹآآ

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥) النساء

المصادر والمراجع :

١. ابن الأثير،عز الدين، ١٩٨٩ (أسد الغابة،(دار الفكر،بيروت)
٢. ابن كثير، اسماعيل بن عمر،١٤١٦هـ ، كتاب فضائل القرآن (مكتبة ابن تيمية)
٣. ابن كثير،اسماعيل بن عمر،١٤١٩هـ، تفسير القران العظيم،تحقيق محمد حسين شمس الدين (دار الكتب العلمية،بيروت)
٤. ابن هشام،عبد الملك،١٩٥٥ سيرة ابن هشام،تحقيق مصطفي السقا وآخرون،ط٢(مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،مصر)
٥. ابو شهبة،محمد،٢٠٠٣ المدخل لدراسة القران الكريم، مكتبة السنة – القاهرة ط٢)
٦. الداني،أبي عمرو،١٤٠٧ المحكم في نقط المصاحف،تحقيق عزة حسن ،ط٢(دار الفكر – دمشق)
٧. الديلمي،أكرم،٢٠٠٦.جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته . دار الكتب العلمية.بيروت.
٨. الزرقاني،محمد عبد العظيم ،مناهل العرفان في علوم القرآن،ط٢.مطبعة عيسى البابي الحلبي.القاهرة. بدون سنة نشر

٩. الزمخشري،أبو القاسم محمود بن عمربن محمد بن أحمد الخوارزمي ،١٤٠٧هـ. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط٣ .دار الكتاب العربي.

١٠. الزنجاني،أبو عبد الله ، ٢٠١٢. تاريخ القرآن .مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .القاهرة .

١١. الزركشي ، بدر الدين ، ١٩٥٧. البرهان في علوم القرآن .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط١ .دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي . وصورته دار المعرفة . بيروت.

١٢. زاهد ، محمد رشيد ،٢٠٠٧. موقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم وكتابته. مقال علمي بمجلة .دراسات الجامعة الاسلامية العالمي شيتاغونغ . المجلد الرابع . ديسمبر.

١٣. السجستاني، أبو داود، ٢٠٠٢.كتاب المصاحف.تحقيق محب الدين عبد السبحان واعظ.ط٢ دار البشائرالإسلامية .

١٤. السيوطي،جلال الدين،١٩٧٤.الاتقان في علوم القرآن.تحقيق محمد أبو الفضل.الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٥. الشنقيطي،محمد العاقب،منظومة كشف العمى في رسم المصاحف

١٦. الطبري،ابن جرير،تفسير الطبري،٢٠٠١.جامع البيان عن تأويل آي القرآن.تحقيق عبد الله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع دار البحوث والدراسات الاسلامية . ط١.دارهجر.

١٧. العبيد،علي بن سليمان،جمع القرآن حفظا وكتابة.مجمع الملك فهد.المدينة المنورة .

١٨. عتر،نور الدين،١٩٩٣.علوم القرآن الكريم .ط٦.مطبعة الصباح. دمشق.

١٩. العسقلاني،ابن حجر،١٤١٥هـ. الإصابة في تمييز الصحابة . دار الكتب العلمية. بيروت.

٢٠. العسقلاني،ابن حجر،١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. دار المعرفة. بيروت.

٢١. العك،خالد،١٩٨٦.تاريخ توثيق نص القران .ط٢. دار الفكر .دمشق .